مدينة الرصاص

محمود سالم

مدينة الرصاص

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مدينة الرصاص

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٧١٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
هذا هو السؤال	١١
السفر إلى مدينة الرصاص	١٧
«أحمد» يلعب لعبة ذكاء	٢٣
«أحمد» يتأكد مما فكر فيه	٢٩
معركة في بطن الجبل	٣٥
معركةٌ في منجم الذهب	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌ منهم يمثل بلدًا عربيًا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجهة إلى الوطن العربي ... تمرنوا في منطقة الكهف السري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يره أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

هذا هو السؤال

كان مركز المعلومات في المقر السري مشغولًا في هذه اللحظة بإعداد دراسةٍ خاصةٍ طلبها رقم «صفر» قبل أن يدعو الشياطين للاجتماع، في نفس الوقت كان الشياطين يجلسون في قاعة السينما الصغيرة، الملحقة بالمقر السري، يشاهدون فيلمًا عاطفيًا.

قالت «هدى»: إنه فيلمٌ بطيء!

ردت «ريما»: إن طبيعة الأفلام العاطفية أن تكون أحداثها بطيئةً؛ لأن المواقف فيها هادئة.

ضحك «عثمان» وقال: إن «هدى» تهوى أفلام المغامرات؛ فهي لا تستطيع أن تكون خارج المغامرة أبدًا.

وعلَق «بو عمير»: لا تتعجَلوا، إننا في الطريق إلى مُغامرةٍ جديدةٍ، أظنُ أن الزعيم سوف يدعونا لها الآن!

نظر الشياطين إلى «بو عمير»، وتساءل «عثمان»: هل هذا خبرٌ جديدٌ؟

ابتسم «بو عمير» وقال: ليس خبرًا، ولكنه حقيقةٌ واقعةٌ ... فالخبر يحتمل الكذب والصدق أما الحقيقة فهي لا تحتاج إلى مناقشةٍ.

قالت «زبيدة»: إذنْ فأنت تعرف!

ضحك «بو عمير» وهو يجيب: ليس بالضبط، إنه مجرد إحساسٍ.

مرت لحظة صمتٍ، ثم قال «أحمد»: ينبغي أن تفهموا «بو عمير» جيدًا، إن ما يقوله حقيقةٌ فعلًا، فمتى جلسنا في المقر السرِّي بلا مغامرة؟!

ضحك «بو عمير» كرةً أخرى، وهو يعلق: لقد فهمني «أحمد» بسرعةٍ.

كان الفيلم قد انتهى، ودقَّت الساعة العاشرة، فوقفت «هدى» وهي تقول: إلى النوم!

ابتسم «عثمان» وقال: ألا تَنتظِرين أنباء المغامرة الجديدة!

ردت «هدى»: سوف تُوقظونني من النوم إذا كان هناك ما يَستدعي ذلك.

سكتت لحظةً ثم ابتسمت قائلةً: إلا إذا كنتم استغنيتم عن خدماتي!

بدأ الشياطين يَنسحبُون من القاعة، لكنَّهم فجأةً توقَّفوا؛ فقد كانت هناك إشارةٌ من رقم «صفر» تعني أن ينتظروا؛ فهناك أمرٌ بالاستدعاء. ابتسم «بو عمير» وقال: ألم أقلْ لكم؟

وعلقت «ريما» وهي تنظر إلى «هدى»: لا داعيَ للنوم؛ فقد بدأت المغامرة!

كان «أحمد» قد استغرق في التفكير، إنَّ دعوة رقم «صفر» للشياطين في هذا الوقت تعني أن هناك أمرًا خطيرًا؛ فهذه ربما تكون أول مرةٍ يُطلب منهم أن يَنتظرُوا في هذا الوقت المتأخِّر من الليل، وهذا يعني أنهم سوف يُغادرون المقر الآن.

طافت بذهن «أحمد» أفكارٌ كثيرةٌ، لقد كان يتوقع المغامرة التي سوف يدخلونها، لكنه في النهاية لم يستطع أن يتوصَّل إلى شيء.

في نفس الوقت كان بقية الشياطين ينظرون إليه، في انتظار أن يقول شيئًا؛ ففي العادة كان يتوقَّع المغامَرة القادمة، ولذلك فقد سأل «فهد»: إلى أين هذه المرة؟

غير أن «أحمد» لم يَسمع سؤال «فهد»؛ فقد كان مستغرقًا تمامًا في التفكير، ابتسم «فهد» وهو يُكرر السؤال مرةً أخرى، فسمعه «أحمد» وابتسم قائلًا: لقد عجز تفكيري هذه المرة، ولا أدري إلى أين نشدُّ رحالنا.

لفَّ الصمت قاعة السينما الصغيرة التي غرقَت في ضوءٍ هادئٍ، شغل «أحمد» نفسه باستعراض القاعة، بعد أن أجهده التفكير، كانت القاعة تضمُّ خمسين كرسيًا فقط، وكانت تبدو كقاربٍ فوق الموج، فقد فرشت أرضها بالموكيت الأزرق، وكذلك الجدران والسقف، أما الكراسي فقد كانت بيضاء، وكانت هذه الألوان نفسها، هي الألوان التي يحبها «أحمد».

فجأةً تردَّد صوت رقم «صفر» في فراغ القاعة يقول: إن المغامرة ليست عاجلةً تمامًا، فهي يُمكن أن تنتظر حتى الصباح، ولكني أريد أن أكسب وقتًا؛ لأنها مغامرةٌ جديدةٌ، وغريبةٌ، وأعتقد أنكم سوف تسعدون بها.

سكت لحظةً، ثم أضاف: إنني في انتظار دراسةٍ من مركز المعلومات في المقر، بعدها سوف نبدأ عملنا.

نظر الشياطين إلى بعضهم البعض بعد أن توقَّف صوت رقم «صفر»، وكانوا جميعًا يفكرون في الكلمات التي ذكَرَها رقم «صفر»، والتي تقول إنها مغامرةٌ جديدةٌ وغريبةٌ،

وإنَّ الشياطين سوف يسعدون بها، قطع «قيس» الصمت قائلًا: إن ذلك شيءٌ مُثيرٌ فعلًا، فإنَّ المغامرة الجديدة تمنح الإنسان متعةً بلا حدودٍ.

أضاف «مصباح»: هذا حقيقيٌّ، إنَّ ذلك يجعلني أتمنى أن تبدأ المغامرة الآن.

كانت الدقائق تمرُّ والشياطين في انتظار استدعاء رقم «صفر» لهم، إنَّ الانتظار بطبيعته مسألةٌ ثقيلةٌ، فإذا كان لمهمَّةٍ ضروريةٍ فإنه يكون شيئًا غير محتملٍ، ولذلك فقد كان الشياطين قَلِقين تمامًا، غير أن قلقهم لم يستمرَّ، فقد جاء صوت رقم «صفر» يقول: أعتقد أننا لسنا في حاجةٍ للانتقال إلى قاعة الاجتماعات، فسوف نعقد اجتماعنا هنا، في قاعة السينما؛ ذلك لأن المغامرة الجديدة سوف تبدو أمامكم وكأنها فيلمٌ سينمائيٌّ فعلًا.

سكت رقم «صفر»، ومرةً أخرى التقت أعين الشياطين؛ فهذه الكلمات التي قالها الزعيم تبدو مثيرةً للغاية، هذه إذن مغامرةٌ جديدةٌ، وقد تكون مسليةً كفيلمٍ سينمائيٍّ، عندما مضت الدقائق ولم يُضف رقم «صفر» شيئًا جديدًا.

قال «قيس»: قد تكون المغامرة في هوليوود مدينة السينما!

رد «عثمان»: أو في جبال الهيمالايا في الهند.

أضاف «فهد»: أو في «إيطاليا» حيث تُوجد عصابات المافيا.

قطع صوت رقم «صفر» تعليقاتهم، عندما قال: سوف يبدأ اجتماعنا بعد قليلٍ.

فجأةً بدأت الإضاءة تخفت، فاتجهت أعين الشياطين مباشرةً إلى شاشة العرض، ولم تمضِ دقيقتان حتى كانت خريطة أفريقيا تتوسَّط الشاشة، أخذ الشياطين يرقبون الخريطة التي لم تكن تعني شيئًا حتى هذه اللحظة، بعد قليلٍ خرج سهمٌ من المحيط الهندي ورسم دائرةً حول جمهورية «تنزانيا»، نظر الشياطين إلى بعضهم، فقد تحدَّدت أخيرًا المنطقة التي سوف يطيرون إليها، بعد لحظةٍ ظهرت طائرةٌ صغيرةٌ فوق الخريطة، بدأت في مدينة «دار السلام» عاصمة «تنزانيا»، ثم أخذت طريقها إلى بحيرة «فيكتوريا»، واستقرت عند مدينةٍ صغيرةٍ ظهر اسمها فوق الخريطة وهي مدينة «موانزا» ...

مرةً أخرى طارت الطائرة إلى جبال «كلمنجارو» ثم هبطت هناك، انتظرت قليلًا ... ثم طارت مرةً أخرى إلى «دار السلام»، ومنها إلى خارج «تنزانيا» كلها.

في الوقت الذي كان الشياطين يُتابعون حركة الطائرة من «دار السلام» إلى بحيرة «فيكتوريا»، ثم إلى مدينة «موانزا»، إلى جبال «كلمنجارو»، حتى خروجها من «تنزانيا» كلها، كان «أحمد» يسترجع في ذهنِه ما يعرفه عن «تنزانيا» وعن مدينة «موانزا» بالذات؛ فهو يعرف أنها تقع بين خطَّي طول وعرض ٣٠ ويعرف أنها مشهورةٌ بالذهب الذي يستخرج

من مناجمها، وعند هذه النقطة بدأ يُفكِّر: ما دامت «موانزا» مشهورةً بالذهب، فإن المغامرة سوف تكون حول عمليات النَّهب والتهريب التي تخضع لها «تنزانيا»، وبسرعةٍ بدأ يربط بين حالة الفقر التي تسود قارة أفريقيا، وبين سيطرة القوى العُظمى التي تستغل موارد القارة، وثرواتها، وكيف تتحكم الشركات الكبرى الأجنبية، وكيف تستدين الدول الأفريقية من الدول الغنية! والمشاكل التي تعيشها أفريقيا.

كان «أحمد» قد قرأ دراسةً طويلةً ومفصَّلةً عن أفريقيا ومشاكلها قال في نفسه: إن المغامرة الجديدة لن تخرج عن عمليات تهريب الذهب ... غير أنه فكر: إن «تنزانيا» جمهوريةٌ مستقلةٌ، وقد حصلت على استقلالها بعد الثورة التي قادها الزعيم «جوليوس نيريري» وقد نالت استقلالها عام ١٩٦٢، وهذا يعني أن الدولة تحكُم كل شيءٍ هناك، بعد أن أصبح الحكم وطنيًّا ...

توقَّف «أحمد» قليلًا وهو يرقب حركة الطائرة فوق الخريطة؛ فقد عادَت الطائرة من جديدٍ، قال في نفسه: لكن هناك عصابات عالمية، تلعب الآن دورًا في كل شيءٍ، حتى في ثورات الدول أيضًا، ومن الممكن أن تكون هناك عصابةٌ ما، تلعب لعبتها حيث توجد مناجِم الذهب، التي تمثل موردًا هامًّا في حياة «تنزانيا».

نظر «أحمد» إلى الشياطين، كانوا جميعًا مُستغرقين في أفكارهم، فجأةً نظرت له «ريما» وابتسمت قائلةً: إنني أعرف أين وصلتْ بك أفكارك!

ابتسم «أحمد» قائلًا: إلى أين؟

ردَّت قائلةً بينما انتبه الشياطين إلى حوارهما: إلى مناجم الذهب الأصفر.

ابتسم «أحمد» وقال: تمامًا لقد فكرت كما فكرت أنت أيضًا.

رد «فهد»: إنها لن تخرج عن هذه القضية؛ فمدينة «موانزا»، هي مدينة الذهب، ولا بد أن تكون هناك عملية سطوٍ عليها!

اتسعت ابتسامة «أحمد» وهو يقول: إنني أعرف أن الشياطين قادرون على التوقع السليم.

فجأةً جاء صوت رقم «صفر» يقول: لقد توصلتم إلى معظم أحداث المغامرة، لكن الجديد فيها، ليس الذهب فقط، إنه الرصاص أيضًا.

صمت رقم «صفر» فتطلَّع الشياطين إلى بعضهم؛ فهم يعرفون أن مدينة «موانزا» تشتهر بالذهب فقط، وهذه المنطقة تتركز فيها مناجم الذهب، قال رقم «صفر»: أعرف أنكم سوف تدهشون، إنَّ المسألة ليسَت تهريب الذهب من منطقة المناجم؛ فإنَّ هذه المسألة صعبةٌ، فعمليات التهريب محفوفةٌ بالمخاطر؛ لأنها عملياتٌ غير مشروعةٍ، وضد القانون.

سكت فترةً ثم أضاف: القضية أن الذهب يخرج من المناجم تحت بصر القانون نفسه، ولا تظنوا أن عمليات التهريب، تفعل ذلك بالرشوة مثلًا ... إن العلم أصبح يلعب دورًا في عمليات التهريب.

غاب صوته قليلًا ثم قال: سوف أتغيَّب لحظةً؛ فهناك تقارير وصلت من عملائنا حول المغامرة.

نظر الشياطين إلى بعضهم، كانوا جميعًا يتساءلون ماذا يعني رقم «صفر» بأنَّ الذهب يتمُّ تهريبه تحت بصر القانون؟

ظل السؤال معلقًا دون إجابةٍ، ورغم أن الحوار دار بينهم، إلا أنهم لم يتوصَّلوا لشيءٍ؛ فقد قال «بو عمير»: هل يُخفون الذهب مثلًا في صناديق صغيرةٍ، تحمل أسماء طعامٍ، أو مثلجاتٍ أو غيرها؟

وتساءل «مصباح»: هل يمرُّ في حقائب سريةٍ مثلًا؟

ظلوا يطرحون الاحتمالات، لكن لم يكن من بينها إجابةٌ صحيحةٌ عن السؤال الأصلي وهو: كيف يتمُّ تهريب الذهب تحت حراسة القانون؟

فجأةً، جاء صوت رقم «صفر» يقول: آخر التقارير التي وصلت الآن، أنَّ سوق الذهب قد أصبح مهزوزًا ... فقد نزلت كمياتٌ كبيرةٌ منه إلى السوق، وهذا يعني أن السِّلعة المعروضة كثيرةٌ، وهذا يجعل سِعر الذهب منخفضًا ...

سكت لحظة ثم قال: إن التقارير تقول إن كميات من الذهب التي أغرقت السوق مصدرها أفريقيا وهي كمياتٌ لا تخضع للحكومات، إنها تخضع لأفرادها، وهذا يعني أن العصابات هي التي تلعب لعبة السوق، مرةً أخرى ساد الصمت قاعة السينما، ثم جاء صوت رقم «صفر» يقول: إن السؤال هو، كيف يمر الذهب مهرَّبًا في حراسة القانون؟ ... هذه هي قضيتنا، وهذه هي مغامرتكم الجديدة.

السفر إلى مدينة الرصاص

سكت رقم «صفر» طويلًا، بينما كان الشياطين يَنتظرُون أن يبدأ الكلام حتى يعرفوا إجابة السؤال: كيف يمر الذهب تحت بصر القانون؟

أخيرًا ... جاء صوت رقم «صفر» يقول: لقد توصَّل العلماء إلى طريقةٍ يُمكن بها تحويل الذهب إلى رصاصٍ.

ثم توقف عن الكلام، كان الكلام غريبًا على أذن الشياطين، فكيف يُمكن تحويل الذهب إلى رصاص؟ ... ثم كيف يُمكن الاستفادة من الذهب إذا تحوَّل إلى رصاص؟ إنَّ ثمن الذهب أضعاف ثمن الرصاص، والمنطقي والمعقول أن يُحوِّلوا الرصاص إلى ذهبٍ؛ لأنهم سوف يكسبون كثيرًا، لكن أن يُحوِّلوا الذهب إلى رصاصٍ، فما هي الفائدة، إنَّهم بذلك سوف يَخسرون كثيرًا.

كان رقم «صفر» قد صمت، حتى يُعطيَ الشياطين فرصة التفكير، وحتى يمكن أن تتأكد المسألة في أذهانهم، جاء صوته مرةً أخرى يقول: أعرف أنكم سوف تتساءلون، لماذا يُحوِّلون الذهب إلى رصاصٍ ... وهم بذلك سوف يَخسرون كثيرًا؟

سكت لحظةً، ثم أضاف: إن هذه الطريقة التي يَنقلُون بها الذهب في مدينة «موانزا»، وتحت أعين القانون وفي حراسته أيضًا.

انتظر لحظاتٍ، ثم أكمل: إنهم يَسرقون الذهب من المناجم ثم يقومون بتحويل جزءٍ منه إلى رصاصٍ، وبنفس المادة الجديدة يُخفون كميات الذهب الأخرى، فيبدو الذهب وكأنه قوالب من الرصاص، وتحت عين القانون، تمرُّ قوالب الرصاص، دون أن يعرف أحدٌ، أن قوالب الرصاص تُخفي داخلها سبائك الذهب، وكأن «موانزا» مدينة الذهب، قد تحوَّلت إلى مدينة الرصاص!

أدرك الشياطين كل شيءٍ، كان «أحمد» مُبتسمًا، وقد فهم كل تفاصيل المغامرة الجديدة، وقد أعجبه تصوير رقم «صفر» لمدينة «موانزا»، بأنها أصبحت مدينة الرصاص.

أضاف رقم «صفر»: إن عصابة «اليد الحديدية» هي التي تقوم بهذه العملية الخطيرة، التي يُمكن أن تحطم اقتصاد «تنزانيا»، بجوار أنها يمكن أن تقتل اقتصاديات دولٍ أخرى، يمثل الذهب بالنِّسبة لها، جانبًا كبيرًا من اقتصادها القومي …

سكت الزعيم مرةً أخرى، ثم قال بعد قليلٍ: أنتم تعلمون أن الذهب معدنٌ غالي الثمن، وإذا كانت هناك دولٌ يُمثِّل البترول أهم مواردها، فإنَّ هناك دولًا أيضًا يُمثِّل الذهب أهم مواردها، وعادةً تحتفظ الدول بكمياتٍ ضخمةٍ من الذهب، لا تبيعه في السوق إلا إذا اجتاحتها ضائقةٌ ماليةٌ، إن الذهب يمثل مخزونًا استراتيجيًّا عند الدول …

كان الشياطين يُتابعون رقم «صفر» باهتمامٍ، ولذلك أضاف: إن عصابة «اليد الحديدية» تلعب لعبةً خطيرةً في سوق الذهب الدولي فهي تطرح كمياتٍ كبيرةً منه، وهذا يجعل السِّعر ينخفض، وفي نفس الوقت تشتري الكميات التي تنزل إلى السوق، بسعرٍ رخيصٍ، ثم تمنع الذهب، فيرتفع سعره، وتعود إلى بيعه من جديدٍ، لتكسب منه أضعافًا مضاعَفةً، وهذه لعبةٌ خطيرةٌ.

بينما كان الشياطين يُتابعون كلمات رقم «صفر»، كانت خريطة أفريقيا قد اختفت تمامًا؛ فقد عرف الشياطين، أي طريقٍ سوف يتبعون، كان رقم «صفر» قد صمت، فعاد يقول: هذه إذن مغامرتكم الجديدة، وهي كما ترون مغامرةٌ طريفةٌ، ومفيدةٌ أيضًا. إنَّ كشف عصابة «اليد الحديدية» سوف ينهي هذه اللعبة الخطيرة.

انتظر دقيقةً ثم قال: إن العصابة تأخذ أطراف مدينة «موانزا» ميدانًا لعملها، وهي تقوم بنقل ما تُريد إلى «جبال كلمنجارو»، ثم تعود مرةً أخرى إلى نقله إلى مدينة «دار السلام»، ومنها يأخذ طريقه إلى خارج «تنزانيا»، إنني أقترح أن تتحركوا في الصباح الباكر، حتى يُمكنكم أن تصلوا في وقتٍ يسمح بالحركة السريعة؛ فهناك — كما تقول تقارير عملائنا — شحنةٌ ضخمةٌ من الذهب المحول إلى رصاصٍ سوف تخرج من مدينة «دار السلام» في خلال يومين.

سكت لحظةً، ثم قال: إن المجموعة التي سوف تقوم بالمغامرة، ستجد التكليف في غرفتها، أتمنى لكم التوفيق.

ما إن سكت رقم «صفر» حتى أسرع الشياطين بمغادرة قاعة السينما، كان كلٌّ منهم يتمنى أن يكون بين المجموعة، ولذلك أسرعوا إلى غرفهم، كان «أحمد» الوحيد الذي يمشي

على مهلٍ؛ فقد كان يفكر في الطريقة الغريبة التي يقومون بواسطتها بتحويل الذهب إلى رصاصٍ، وعندما وصل إلى غرفته، كانت شاشة التليفزيون، تَحمل أسماء المجموعة، وكانت تضمُّ: «أحمد»، «عثمان»، «خالد»، «رشيد»، «باسم» ... في نفس الوقت وجد رسالةً سريعةً، تخبره أن شفرةً جديدةً تُعدُّ لهذه المغامرة، وأنها سوف تصله بعد ساعتين.

أسرع «أحمد» وأرسل تعليماته إلى المجموعة، حتى تستعد، وكانت التعليمات أن ساعة التحرك سوف تكون في الخامسة صباحًا، وأن اللقاء سوف يكون في المنطقة «س»، حيث توجد سيارات المقر السرِّي، انتظر لحظةً يفكر، ثم تحرك بسرعةٍ، وأعد حقيبته السحرية، وعندما انتهى منها، ألقى بنفسِه في السرير، واستغرق مباشرةً في النوم.

وعندما استيقظ «أحمد» في الرابعة صباحًا، وجد رسالةً شفريةً قرأها بسرعةٍ ثم ابتسم، كانت الرسالة بالشَّفرة القديمة، ومعها كانت الشفرة الجديدة للمغامرة، جرى بعينيه على رموزها ثم ابتسم مرةً أخرى؛ فقد كانت شفرةً شديدة التعقيد، أخذ يقرؤها عدة مراتٍ، ثم وضع الرسالة في فتحةٍ تحت جهاز التليفزيون، فاختفت الرموز المكتوبة واختفَت كلمات الرسالة، ولم تبقَ سوى ورقةٍ بيضاء؛ فقد كانت الرسالة والشفرة مكتوبتين بحبرٍ سري خاص، رفع «أحمد» سماعة التليفون ليتحدث إلى «خالد» إلا أن جهازًا خاصًّا، يحمل صوت «خالد» هو الذي رد يقول: نحن في المنطقة «س»، ابتسم «أحمد»؛ فقد استيقظ الشياطين مبكرين واستعدوا وانطلقوا إلى حيث نقطة اللقاء، في دقائق كان يغادر غرفته إلى المنطقة «س»، وهناك وجد الشياطين قد ركبوا السيارة في انتظاره، ألقى عليهم تحية الصباح، مبتسمًا، ثم أخذ مكانه بجوار «خالد» الذي كان يجلس أمام عجلة القيادة، وعندما أغلق الباب، انطلق «خالد» خارجًا من المنطقة «س»، إلى حيث تبدأ المغامرة، فقد كانت هذه أول خطوةٍ إليها، كان الشياطين صامتَين تمامًا، فجأةً قال «رشيد»: أقترح أن نرسل برقيةً إلى الشياطين نتمنى لهم وقتًا طيبًا حتى عودتنا.

رد «باسم»: فكرةٌ طيبةٌ، فهذه المغامرة ليست كأي مُغامرةٍ سابقةٍ؛ فسوف نرى فيها ما لم نرَه في أي مغامرةٍ أخرى.

أكمل «عثمان»: خصوصًا وأنني أعرف أن كل الشياطين كانوا يتمنَّون أن يشتركوا فيها!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: سوف نُداعبهم مداعبةً طريفةً، سأرسل البرقية بالشفرة الجديدة وهم لا يعرفونها، وسوف يُمضون الوقت في محاولة حلها، حتى نعود إليهم.

سكت لحظةً، ثم قال: ما لم يَلجئوا لجهاز حل الشفرة، أو رقم «صفر»!

تساءل «خالد»: وهل تغيَّرت الشفرة؟

رد «أحمد»: نعم، إنها شفرةٌ جديدةٌ، وغريبةٌ أيضًا، وسوف أقدمها لكم حالًا؛ فهي التي سوف نتراسل بها، ونُخاطب رقم «صفر» إذا احتجنا إليه.

وبسرعةٍ أخرج جهاز الإرسال الخاص به، وأرسل برقيةً شفريةً إلى الشياطين من المقر السري، كانت الشفرة تقول «٥٠٠-٦٠٠» وقفة «١٦» وقفة «ج» وقفة «٨-٤٠٠-١٧٠» وقفة «١٦» وقفة «ف» وقفة «٤٤-١٥٠-١٣» وقفة «٦٠٠-١٥-٣٠٠-٢٠-٣٠٠-٥٠٠» وقفة «٨-٤٠٠-٢٠-٥٠-٨-٥٠» وقفة «٦٠٠-٦-٥٠٠-٦٠٠-١٧٠» وقفة «٤٠٠-٣٠٠-٥٠٠» وقفة «١٥٠-٣٠٠-٥٠٠» وقفة «١٥٠-٢٠٠-٦-٨» وقفة «٧٥-١٧٠-٤-٨» وقفة «٧-٦-١٧٠» وقفة «٦٠٠-٤٠٠-٦-٢٠٠-١٧٠» انتهى.

كان الشياطين يسمعون «أحمد» وهو ينطق الأرقام، نظر «عثمان» إلى «رشيد» وقال: إنها شفرةٌ غريبةٌ، ومعقدةٌ!

رد «رشيد»: ينبغي أن تكون كذلك، وإلا فإن فك رموزها يُصبح سهلًا، خصوصًا ونحن نتعامل في مغامرةٍ صعبةٍ، ومع عصابةٍ حديثةٍ، ومن المؤكَّد أنها تملك إمكانياتٍ عاليةٍ.

كانت بوابات المقر السرِّي الصخرية، قد انفتحت عندما وصلت سيارة الشياطين عند نقطةٍ معينةٍ، وعندما تجاوزتْها انغلقَت في هدوءٍ، وظهر الأفق أمام الشياطين أحمر ورديًّا، فقد كانت الشمس قد بزغتْ منذ قليلٍ، كان الطقس جميلًا وألوان الصباح تبدو واضحةً، وكأنها مغسولةٌ بالماء.

سأل «خالد»: هل تقول لنا شفرتنا الجديدة؟

قال «أحمد»: نعم هذه هي.

بدأ يقول لهم، وهم يسمعون في تركيزٍ شديدٍ، كان «رشيد» يُردِّد همسًا ما يقوله «أحمد» في الوقت الذي أغمض «عثمان» عينَيه، حتى لا يشغله شيءٌ، كان «خالد» يهمس لنفسِه، أما «باسم» فقد كان يتابع شفتي «أحمد» وهما تنطقان الأرقام، كان «أحمد» يقول الرقم ثم ينتظر قليلًا، حتى يُعطي فرصةً للشياطين ليثبتوا الرقم في ذهنهم، ثم يقول الرقم التالي، وعندما انتهى نظر إلى «عثمان» وسأل: هل أخذت الشفرة؟

رد «باسم»: أظن أن «عثمان» قد راجعها حتى آخر رقمٍ.

قال «عثمان»: هذه هي!

أخذ يردد الأحرف، والأرقام، مرةً ترتيبًا ومرةً متناثرةً بسرعةٍ غريبةٍ، حتى إن الشياطين ضحكوا ثم قال في النهاية: برغم أنها صعبةٌ ومعقدةٌ، إلا أنَّ الصعوبة والتعقيد هوايةٌ يعشقها الشياطين! ضحكوا مرةً أخرى ثم بدأ «باسم» يردِّد الشفرة، وتبعه «خالد»، ثم «رشيد» حتى يتأكَّد «أحمد» أن الجميع يَملكون مفاتيح الرسائل والكلام أيضًا، في النهاية قال «أحمد»: رائعٌ.

سكت «أحمد» لحظةً، ثم أضاف: إنها مغامرةٌ جديدةٌ في كل شيءٍ، وهذا ما يجعل لها مذاقًا خاصًّا!

رد «رشيد»: إنَّ العلم قد حقق معجزةً بتحويل الذهب إلى رصاصٍ، وأظن أن هذه خطوةٌ في الطريق إلى تحويل الرصاص إلى ذهبٍ!

قال «عثمان»: أعتقد أن هذا لو حدَث وتحوَّل الرصاص إلى ذهبٍ، فإن المعدن النفيس، سوف يَفقد قيمته …

ابتسم «خالد» وقال: من يدري، فقد نرى قرطًا من الرصاص، أو أساور أو خواتم وغيرها، لكن كيف سيكون شكلها؟

قال «باسم»: أظن أن ذلك سوف يكون مستحيلًا فسوف تظهر قوى تقف ضد تحويل الرصاص إلى ذهبٍ، حتى لا يفقد قيمته!

رد «أحمد»: إنَّ ذلك سوف يخضع لمن يملك سرَّ تحويل الرصاص إلى ذهبٍ؛ لأن قلةً هي التي تملك السر.

ضحك «خالد» وقال: إذن فإن أمامنا مغامرةً مضمونةً، إن لم تكن مغامرات، فحيثما كان الصراع يكون الشياطين.

ضحكوا جميعًا بينما كان «خالد» يُضيف: ها نحن قد اقتربنا!

نظر «أحمد» في ساعة السيارة، ثم قال: لقد وصلنا في وقتٍ مناسبٍ فعلًا!

وبعد ربع ساعةٍ، كانت سيارة الشياطين تدخل ساحة المطار، ثم تتجه إلى موقف السيارات، لتركها هناك، وفي دقائق كانوا يغادرون السيارة إلى المطار، حيث كانت تذاكر السفر في انتظارهم …

سأل «باسم» موظَّف شركة الطيران، وعرف أن الطائرة سوف تُقلع بعد نصف ساعةٍ، وعندما عرف الشياطين أنه لا يزال هناك بعض الوقت، انتشروا في الصالة الواسعة، وأخذ «أحمد» طريقه إلى حيث تباع جرائد اليوم، فاشترى عددًا منها، وتوقف أمام كتابٍ عنوانه «تفاصيل جديدةٌ إذن في مغامرتنا الجديدة».

اشترى الكتاب وغادر المكان وهو يَستمع إلى صوت مذيعة المطار تعلن: على المسافرين إلى دار السلام أن يتجهوا إلى صالةٍ رقم (٣).

اجتمع الشياطين وتقدَّموا إلى حيث توجد الصالة (٣) حتى يستقلُّوا الطائرة المسافرة إلى دار السلام، حيث تبدأ الخطوة الثانية في مغامرة مدينة الرصاص.

«أحمد» يلعب لعبة ذكاء

عندما حلَّقت الطائرة كان الشياطين قد أخذوا أماكنهم، وكلٌّ منهم يجلس في ناحيةٍ، لقد فكروا من البداية، ورسموا خطتَهم أن عصابة «اليد الحديدية» جديدةٌ عليهم، وعملية الذهب لا تتحدد بمكانٍ معيَّنٍ؛ فالذهب لا يتركز في مكانٍ واحدٍ حتى وإن كانت سوقه الحقيقية في سويسرا؛ فالتعامل فيه يمتد على مساحة الكرة الأرضية كلها، ومعروفٌ أنه موجودٌ بكثرةٍ في أفريقيا، والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، لكنه في نفس الوقت يجوب الدنيا كلها؛ لأنه معدنٌ مُرتفِع القيمة؛ لذلك اتفق الشياطين على أن يجلسوا متباعدين في الطائرة، فمن يدري؛ فقد تسوق لهم الصدفة من ينفعهم في مغامرتهم الجديدة، صحيحٌ أنهم يعرفون وجهتهم الآن، لكن المزيد من المعلومات مفيدٌ في النهاية.

كان «أحمد» يجلس عند مقدمة الطائرة وبجواره كان يجلس رجلٌ في منتصَف العمر، يبدو عليه الدهاء، كان «أحمد» يُراقبه في هدوءٍ، ودون أن يَلفِت نظره، قال في نفسه سوف ألعب معه لعبة الذكاء.

مدَّ يده وأخذ الكتاب الذي اشتراه من المطار واسمه «الذهب»، وضع الكتاب فوق ساقَيه، ثم شرد لحظةً، كان يُعطي فرصةً للرجل، حتى يرى الكتاب ويقرأ عنوانه، مرت دقائق ثم فتح أول صفحةٍ من الكتاب، وبدأ يقرأ بنصفِ تركيزٍ، أما النصف الآخر فقد كان يراقب به الرجل، بعد لحظةٍ كان يَكتم ضحكةً في أعماقه؛ فقد رأى عيني الرجل وهما تحاولان القراءة، قال في نفسه: يبدو أن لعبة الذكاء قد نجحت، ويجب أن أستمر، فمَن يدري قد يكون واحدًا من المساعدين!

لم تمرَّ دقائق قليلةٌ حتى كان الرجل يقول: هل تَسمح لي بالحديث؟

قالها بلغةٍ إنجليزيةٍ صحيحةٍ، التفت «أحمد» إليه مبتسمًا وهو يقول: بالتأكيد وسوف يسعدني ذلك كثيرًا.

قال الرجل يُقدم نفسه: اسمي «جون ماكدونالد» من إنجلترا — وأعمل في تجارة الذهب.

ابتسم «أحمد» وهو يقول: لقد توقَّعتُ ذلك!

نظر له «جون» في دهشةٍ، وهو يتساءل: كيف؟

رد «أحمد»: أظنُّ أنه إحساسٌ؛ لذلك فقد تركتُ غلاف الكتاب لحظةً، حتى أرى إذا كان سيجذب اهتمامك أم لا!

أبدى «جون» دهشةً كبيرةً، وهو يقول في حماسٍ: إنك شابٌّ مُدهِشٌ، ويسعدني أن أتعرف عليك.

قال «أحمد»: اسمي «ألبرت ديوك».

قال «جون»: أفريقيٌّ؟

ابتسم «أحمد» وهو يقول: نعم، من تَنزانيا.

رد «جون» في حماسٍ: رائعٌ، ولهذا فأنت مُهتمٌّ بالذهب، أليس كذلك؟

قال «أحمد»: نعم.

أضاف «جون»: أنا ذاهبٌ إلى هناك، إنها صدفةٌ رائعةٌ أن ألتقي بك.

هكذا عقد «أحمد» علاقةً مع «جون ماكدونالد»، وطوال الرحلة أخذا يتحدثان عن الذهب فقط ... حكى «جون» لـ «أحمد» قصته مع الذهب، وكيف ورث هذه التجارة عن والده، وصفقات الذهب التي عقدها، وعمليات تهريب الذهب، وأخيرًا قال في حماسٍ: لقد قرأتُ أن العرب أول من فكر في صناعة الذهب، حتى إن أحد علمائهم حاول أن يصنع الذهب بطريقةٍ كيميائيةٍ، ولو أنه توصل إلى ذلك لكان الذهب فقَد قيمته.

صمت لحظةً، ثم أضاف: أظن أن هناك محاولاتٍ لأحد العلماء في أيامنا هذه حاول أن يفعل نفس الشيء، لكنه اكتشف أن ذلك سوف يُكلفه كثيرًا.

صمت مرةً أخرى بينما كان «أحمد» يتابعه باهتمامٍ ثم قال: ومن يدري؟ فقد يتوصل العلم مستقبلًا إلى ذلك.

ثم ابتسم وهو يضيف: وساعتها سوف تكون تجارة الذهب، تجارةً غير مربحةٍ!

ابتسم «أحمد» لتعليقه الأخير، في نفس الوقت كان الشياطين يتابعون الموقف عن بعدٍ، استغرق «أحمد» و«جون ماكدونالد» في الحديث الذي لم يقطعْه سوى ظهور مضيفات الطائرة، وهن يضعن طعام الغداء أمام المسافرين، ومع ظهور الطعام بدأ نوعٌ من النشاط يدب في الطائرة، غير أن «ماكدونالد» لم يتوقفْ عن الحديث، مما جعل «أحمد»

يكتم ابتسامةً، كان يمكن أن تجعل الرجل يتوقف عن الحديث، كان «أحمد» يأكل على مهلٍ كعادته، وعندما انتهى «ماكدونالد» من طعامه كان «أحمد» لا يزال يأكل، حتى إن الرجل علق قائلًا: أنت تأكل ببطءٍ شديدٍ!

ابتسم «أحمد» وقال: ولماذا العجلة؟ أمامنا متسعٌ من الوقت.

قال «جون» مبتسمًا: لهذا السبب فقط؟

ابتسم «أحمد» وأجاب: ليس لهذا السبب فقط، ولكني أفضِّل أن آكل على مهلٍ.

هز «جون» رأسه، وهو يقول: هذه عادةٌ طيبةٌ، لا بأس، لا بأس.

ثم مدَّ يده وأخذ كتاب «الذهب» واستغرق في قراءته، بينما كان «أحمد» يُراقبه، وهو يمضغ طعامه على مهلٍ، فجأةً أبدى «جون» دهشته، وهو ينظر إلى «أحمد» قائلًا: معلومةٌ جيدةٌ، لم أكن أعرفها، وينبغي أن تعرفها أنت أيضًا.

نظر له «أحمد» في اهتمامٍ، بينما كانت عينا جون تقرآن في الكتاب، قال: إن الذهب ينصهر تمامًا عند درجة ١١٦٣ مئويةً.

ثم نظر إلى «أحمد» وهو يُضيف: إنه معدنٌ قويٌّ!

عادت عيناه إلى الكتاب وقرأ: وهو يغلي عند درجة ٢٦٠ مئويةً.

عاد بعينَيه إلى «أحمد» وهو يتساءل مبتسمًا: وهل رأيت الذهب وهو يغلي؟

ابتسم «أحمد» وهو يقول: لا أظنُّ وحتى لم أره وهو يَنصهِر!

قال «جون» في حماسٍ: لقد رأيته كثيرًا وهو ينصهر، إنه يتحول إلى سائلٍ بديعٍ، وفي هذه الحالة يُمكن تشكيله.

سأله «أحمد» في بساطةٍ: وهل يمكن طلاء الذهب؟

رد الرجل بحماسٍ: طبعًا، يمكن طلاؤه بأي نوعٍ من المعادن الأخرى.

سأل «أحمد» مرةً ثانيةً: وهل يَختفي تمامًا؟

أجاب الرجل: نعم، حتى إنك لا تستطيع أن تكشفه!

انتهى «أحمد» من طعامه، وبدأت المضيفات يَرفعن ما تبقى من الطعام، ابتسم «جون» وهو يقول: أظنُّ أنني تحدثت كثيرًا الآن، ينبغي أن أنام قليلًا.

أغمض «جون» عينيه، ثم استغرق في النوم بسرعةٍ، بينما كان «أحمد» يراقبه في حذرٍ، قال في نفسه: أعتقد أن «جون» خلفه شيءٌ آخر ... نظر في ساعة يده، ثم قال في نفسه: الباقي من الرحلة ليس كثيرًا ... شرَد وهو ينظر من نافذة الطائرة، كان يستعيد الحديث الطويل الذي قاله «جون ماكدونالد»، والذي دار كله حول الذهب، أخذ يَستعيد

أيضًا الأسئلة التي طرحها عليه، والتي دارت أيضًا حول الذهب، قال في نفسه: إن حديثًا جديدًا يُمكن أن يفتح معه الطريق إلى جوانب أخرى.

أغمض عينيه وهو يقول في نفسه: يَنبغي أن أنام بعض الوقت، فمَن يدري متى يمكن أن أنام مرة أخرى؟ ... ولم تمضِ دقائق حتى كان قد استغرق في النوم، ولم يستيقظْ إلا على صوتٍ خفيفٍ، فتح عينَيه فرأى «جون» يأخذ إحدى الجرائد من مسند الكرسي، وعندما رأى «أحمد»، قال معتذرًا وهو يبتسم: آسِف أنني أيقظتك!

قال «أحمد»: لقد نمتُ ما يكفي.

سكت «أحمد» لحظةً ثم قال: أظنُّ أن الذهب هو شاغلك الوحيد!

رد «جون»: نعم!

سأل «أحمد»: والمعادن الأخرى!

أجاب «جون» بعد لحظةٍ: لم تَستهوِني كثيرًا، غير أني على موعد مع مندوب إحدى شركات المعادن.

فكر «أحمد» بسرعةٍ، ثم تساءل: أي معادن؟

أجاب «جون»: إنها شركةٌ تدعى «الشركة الأفريقية للمعادن»، وهي شركةٌ جديدةٌ.

سأل «أحمد» من جديدٍ: أهي شركةٌ وطنيةٌ؟

قال «جون»: لا أظن، غير أنها نالت امتياز البحث عن المعادن هناك.

قطع حديثهما صوت مذيعة الطائرة يقول: يَنبغي ربط الأحزمة، فنحن على وشكِ الوصول إلى مطار «دار السلام».

ابتسم «جون» وقال: لقد قطعنا رحلةً طويلةً بسرعةٍ.

ثم أضاف بعد لحظةٍ: لو لم أَلْقك يا عزيزي «ألبرت»، لكانت الرحلة قد استغرقت وقتًا طويلًا.

ثم ضحك بصوتٍ مُرتفعٍ، وعندما أنهى ضحكته قال: هل ألقاك في «دار السلام»؟

أجاب «أحمد» بحماسٍ: إن ذلك سوف يسعدني جدًّا.

أخرج «جون» كارتًا من جيبه وقلمًا، ثم كتَب عنوانًا وقدم الكارت لـ «أحمد» الذي أخذه شاكرًا، قرأ العنوان ثم قال: سوف آتيك في الفندق.

نظر له «جون» لحظةً ثم قال: كان يُسعدني ذلك فعلًا، غير أني مُرتبطٌ ببعض الأعمال، سكت لحظةً ثم أضاف: غير أني أستطيع أن أُعرِّفك على أحد أصدقائي، يمكن أن يكون مرشدك طوال إقامتك في «دار السلام»!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إنَّ ذلك سوف يكون صنيعًا طيبًا لن أنساه لك.

كانت الطائرة قد اقتربت من أرض المطار، ألقى «أحمد» نظرةً سريعةً من النافذة، كان مبنى المطار يبدو واضحًا أمامه، في نفس الوقت كان يُفكِّر: هل يُمكن أن أجد عميل رقم «صفر» في انتظارنا، إنَّ هذه ستكون فرصتنا، فمَن يدري قد يكون مندوب شركة التعدين هو الدليل إلى عصابة «اليد الحديدية»، إن لم يكن أحد أفرادها!

ارتطمَت عجلات الطائرة بأرض المطار، ثم استمرَّت في اندفاعها حتى توقفَت في النهاية وعندما كان الجميع يُغادرون الطائرة، ودع «جون» «أحمد» بحرارةٍ وهو يقول: إنني في انتظارك في الفندق إن سمحت ظروف عملي.

أعطى «أحمد» الفرصة لجون حتى ينزل أولًا، وحتى يستطيع أن يُراقبه من بعيدٍ، وعندما دخلا مبنى المطار شاهد «أحمد» أحد الرجال وهو يقترب من «جون» ويستقبله بحرارةٍ، كان الشياطين يقفون حول «أحمد» فقال: إنه لن يغيب عنا، فأنا أعرف مكانه.

نظر له الشياطين في تساؤل، فلم يكونوا يعرفون ماذا دار بين الاثنين، شمل «أحمد» المكان بعينيه عساه يجد عميل رقم «صفر»، لكنه لم يجد أحدًا، أخذ الشياطين طريقهم إلى الخارج، وكان «أحمد» يستعيد ملامح الرجل الذي جاء للقاء «جون» حتى لا يَنسى ملامحه، فمن يدري ربما يلقاه مرةً أخرى!

«أحمد» يتأكد مما فكر فيه

ركب الشياطين سيارةً إلى فندق الصداقة، حيث حجَز لهم عميل رقم «صفر» مكانًا فيه كانت السيارة تقطع الطريق الخالي تقريبًا في سرعةٍ كبيرةٍ وكان «أحمد» مُستغرقًا في التفكير، إن «جون ماكدونالد» فرصةٌ طيبةٌ داخل المغامَرة، ويَنبغي أن يستغلَّه جديًّا، ولو أن عميل رقم «صفر» كان موجودًا في المطار لكان قدمه إليه، وقام بدور المُرشِد، وكان يُمكن أن يحضر معه اجتماعاته مع شركة التعدين أو حتى يعرف منه بعض التفاصيل، في نفس الوقت كان الشياطين يُريدون معرفة تفاصيل الحوار الطويل الذي دار بين «أحمد» وبين «جون»، لكن «أحمد» لم يتحدث؛ فقد أجل ذلك لحين الوصول إلى فندق الصداقة، كانت الغابات تمتد على جانبي الطريق، لكن سرعة السيارة لم تُعطِ أحدًا فرصةً حتى يستطيع أن يرى شيئًا، وعندما لاحت مدينة «دار السلام» قال السائق: إن الفندق يقع عند بداية المدينة.

لم يردَّ أحد من الشياطين، ولم تمض نصف ساعةٍ حتى كانت السيارة تقف أمام الفندق ... غادرها الشياطين بسرعةٍ، بعد أن أعطى «خالد» للسائق إيجار السيارة، في داخل الفندق كانت الحركة نشطة تمامًا والصالة الواسعة مُزدحِمةً بالناس من شتى الألوان.

ابتسم «عثمان» وهو يهمس: هذا الزحام فرصةٌ طيبةٌ للعمل.

كان «رشيد» قد ذهب إلى الاستعلامات لإحضار مفاتيح الغرف، وعندما عاد أخذ الشياطين طريقهم مباشرةً إلى غرفهم، وبعد خمس دقائق، كانوا يعقدون اجتماعًا في غرفة «أحمد».

وقال «باسم» عندما ضمهم الاجتماع: لعلك حقَّقت شيئًا في الطائرة!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إنه يمكن أن يكون خطوةً جيدةً، لكن المسألة لم تتم!

ظهرت الدهشة على وجه الشياطين، وسأل «رشيد»: ولماذا لم تتم؟

أخذ «أحمد» يشرح لهم ما دار بينه وبين «جون ماكدونالد» حتى لحظة وصول الطائرة إلى المطار، وفي النهاية قال «أحمد»: أخشى أن تُعطيَه الشركة مرشدًا من رجالها!

تساءل «باسم»: ولماذا قطعت بأن شركة التعدين هذه يُمكن أن تكون هي ما نبحث عنه!

رد «أحمد» بسرعةٍ: أولًا: هو احتمالٌ إما أن يكون صحيحًا أو خطأً. ثانيًا: هذه شركةٌ جديدةٌ ونحن نَعرف أن ما حدث يعتبر اكتشافًا جديدًا. ثالثًا: هذه شركةٌ لا تعمل في الذهب، وربما هي تُخفي سرَّ عملها، وهذه كلها نقاطٌ يُمكن أن تقودَنا إليها.

قال «خالد»: أقترح أن تتحدث إلى السيد «جون» تليفونيًّا، إن كانت الشركة قد حقَّقت ما فكرت فيه أم لا، فإن كان قد حدث فسوف نفكر في طريقةٍ أخرى، وإذا لم يكن فنفذ خطتك فورًا.

انتظر «أحمد» قليلًا، فقال «عثمان»: أعتقد أن تفكير «خالد» سليم.

توالت الأصوات، تُؤكِّد فكرة «خالد»، فقام «أحمد» إلى التليفون ومعه ورقة «جون» التي كتبها له في الطائرة، ثم أدار القرص وبعد لحظةٍ قال: الغرفة ٦٠٩.

لحظة، ثم قال: أهلًا بالسيد «جون» كيف حال الفندق الذي تَنزل فيه؟

انتظر لحظةً ثم قال: رائعٌ كان يُهمُّني أن تكون مرتاحًا، وهل توصَّلت إلى مرشد؟

لحظة، ثم ظهرت الفرحة على وجه «أحمد» وهو يقول: هذا المساء، نعم، سوف أصحبه معي هذا المساء، ظل «أحمد» يستمع، ثم في النهاية قال: إلى اللقاء، إذن إلى اللقاء.

وضع «أحمد» السماعة، كانت أعين الشياطين تلمع؛ فهم يعرفون بقية الحديث وقال «عثمان»: إذن نطلب عميل رقم «صفر» فورًا!

رفع «أحمد» سماعة التليفون، ثم أدار القرص بأرقامٍ خاصةٍ، ثم قال بعد لحظة: أهلًا بك، نعم أعرف، سوف تصلك الرسالة.

ثم وضع السماعة، ونظر إلى الشياطين قائلًا: سوف نُرسل له رسالةً شفريةً بالشفرة الجديدة؛ فقد عرفها من رقم «صفر».

انتظر لحظةً، ثم قال: يبدو أن العصابة تقوم بعملها جيدًا.

أسرع إلى جهاز الإرسال وبدأ يرسل الرسالة إلى عميل رقم «صفر»، كانت الرسالة تدور حول «جون» وحاجته إلى مُرشدٍ وأهمية هذا المُرشد في المغامرة الجديدة، وموعد اللقاء في فندق المدينة الذي يَنزل فيه «جون» لم تمض الدقائق حتى كان جهاز الاستقبال يسجل رسالةً شفريةً، عرف «أحمد» من أول حروفها أنها من عميل رقم «صفر»،

كانت الرسالة تقول: «٥٠٠-٦٠٠» وقفة «١٤» وقفة «٨-٤٠٠-١٧٠» وقفة «١٦» وقفة «٥٠٠-٨-٦٠٠-١٢-٨» وقفة «١٧٠-٥٠-٤٠٠» وقفة «٨-١-١٢» وقفة «٤٤-٨-١-٧٠٠» انتهى.

ترجم «أحمد» الرسالة ونقلها إلى الشياطين، ثم قال: إذن «ماندا» سوف يكون نقطة البداية!

سكت لحظةً ثم قال: إن علينا أن نرسم خطتنا قد تكون معلومات «ماندا» مفيدةً وقد تُغيِّر من خطتنا، لكن ينبغي أن تكون الخطة جاهزةً.

صمت «أحمد» مرةً أخرى ثم قال: وأظنُّ أن الخطة لن تتغير؛ فالمعلومات التي قدمها لنا رقم «صفر» تقول إنَّ العصابة تنقل الذهب إلى جبال «كلمنجارو» وهناك يوجد معمل العصابة الذي يقوم بتحويل الذهب إلى رصاصٍ، ثم تبدأ عملية نقله إلى مدينة «دار السلام» ليخرج في حراسة القانون، دون أن يَعرف أحدٌ شيئًا.

قال «خالد»: هذا يعني أن أية معلومات سوف يحصل عليها «ماندا» لن تُغير خطتنا، إنه فقط سوف يختصر الزمن.

ظلَّ الشياطين يتناقشون حول خطتهم؛ فهم أولًا سوف يذهبون إلى مدينة «موانزا» أو مدينة الرصاص كما يُسمِّيها الشياطين، ومن هناك يُمكن معرفة كيفية خروج الذهب إلى جبال «كلمنجارو» وأيضًا يُمكن معرفة الرجال الذين يعملون مع العصابة، بعدها سوف تكون رحلتهم إلى جبال «كلمنجارو»، وهناك سوف تكون نهاية المغامرة.

كانت قد انقضت ساعةٌ فجأةً دقَّ الباب دقاتٍ خفيفةً، أسرع «عثمان» إليه ثم فتحه، ظهر وجهٌ أسمر مبتسمٌ يقول: إنني «ماندا».

مدَّ «عثمان» يده وسلم عليه في حرارة ثم دعاه للدخول، كان «ماندا» في عمر الشياطين تقريبًا، قويَّ البنيان يبدو عليه الذكاء، طيب الملامح، مبتسمًا دائمًا، أحنى رأسه في أدبٍ يحيي الشياطين، فوقفوا جميعًا يسلمون عليه، ثم قال «أحمد»: هيا إذن انضمَّ إلى حديثنا.

جلس «ماندا» وعلى وجهِه علامات الاهتمام، فأخذ «أحمد» يَشرح له المهمة التي سوف يقوم بها، وعندما انتهى من حديثه قال «ماندا»: إنني سعيدٌ أن أشترك معكم في هذه المغامَرة، فأنا أتابع مغامراتكم بإعجابٍ شديدٍ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنِّكم.

قدم له «أحمد» خاتمًا أنيقًا وقال له: إنَّ هذا الخاتم سوف يدلُّنا على مكانك، ويجب أن تحرص عليه جيدًا؛ لأنك لو فقدته فقد تقع في يدِ العصابة دون أن ندري.

ابتسم «ماندا» وقال: أعتقد أنهم هم الذين سوف يقعُون في أيدينا.

ضحك الشياطين لتعليق «ماندا»، نظر «أحمد» في ساعة يده ثم قال وهو يقف: سوف أكون جاهزًا بعد ربع ساعةٍ.

أسرع يأخُذ حمامًا ثم أبدَل ثيابه، وعاد بسرعة فقال «ماندا»: إن في الخارج ثلاث سياراتٍ في انتظاركم، في دقائق كان الشياطين يأخذون طريقهم إلى حيث توجد السيارات الثلاث، ركب «أحمد» و«ماندا» في السيارة الأمامية، حيث جلس «ماندا» إلى عجلة القيادة وركب «عثمان» و«خالد» السيارة الثانية، أما السيارة الأخيرة فقد ركبها «رشيد» و«باسم»، وبسرعةٍ كانت السيارات الثلاث تأخذ طريقها إلى وسط المدينة، حيث يُوجد الفندق الذي ينزل فيه «جون».

كان الليل قد بدأ يَهبط على المدينة وكانت الشوارع قد بدأت الحركة فيها تهدأ، كانت السيارات تنطلق في هدوءٍ، وكان الاتفاق أن تكون السيارات مُتباعدةً، وألا تقترب السيارتان الأخيرتان من الفندق، ولهذا عندما ظهر الفندق أضاء «ماندا» ضوء السيارة مرتين، ففهم الشياطين أن عليهم أن يَبتعدُوا الآن وأن يكونوا حول الفندق في نفس الوقت، فربما يحتاج إليهم إذا لزم الأمر.

أوقف «ماندا» السيارة أمام فندق المدينة، فأسرع «أحمد» بالنزول، أخذا طريقهما إلى الداخل وفي مكتب الاستعلامات تحدث «أحمد» إلى «جون» الذي قال له إنه سوف ينزل حالًا، أخذ «أحمد» و«ماندا» مكانًا في الصالة الواسعة ولم تمضِ دقيقتان حتى كان «جون» قد ظهر وهو ينظر حوله باحثًا عنهما، وقف «أحمد» ورفع يده، فرآه «جون» فرفَع يده هو الآخر، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامةٌ عريضةٌ، وعندما التقيا كانت تبدو السَّعادة على وجه «جون» الذي حيا «أحمد»، ثم حيا «ماندا».

فقال «أحمد»: صديقي «ماندا» إنه سوف يكون خير دليلٍ لك.

مرةً أخرى حيا «جون» «ماندا» وهو يقول: إنَّ ذلك يسعدني جدًّا ... فسوف أسافر كثيرًا داخل المدينة وخارجها ...

سكت لحظةً ثم قال: وقد أذهب إلى «موانزا». أخفى «أحمد» دهشته بسرعةٍ في حين ابتسم «ماندا» وهو يقول: أرجو أن أكون مفيدًا لك يا سيدي.

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إنني متأكدٌ من ذلك.

بدأ «جون» يسأل «ماندا» أسئلةً كثيرةً عن البلد ... وعن الحياة فيها، وعن طرق المواصلات والطيران، كان «أحمد» يتابع ذلك باهتمامٍ، في حين أنَّ «ماندا» كان يجيب بلباقةٍ وبمعلوماتٍ غزيرةٍ جعلت «أحمد» نفسه يدهش كثيرًا ... فجأةً كان أحد الرجال يقترب منهم وهو يَصيح: هاللو «جون».

وقف «جون» بسرعةٍ وهو يردُّ مبتسمًا: هاللو «برافو».

تصافحا ثم تعرف «برافو» على «أحمد» و«ماندا»، وشرح «جون» «لبرافو» قيام «ماندا» بدور الدليل منذ الصباح ... وأن لديهما غدًا أعمالًا كثيرةً ... وبعد ساعةٍ وقف «جون» وهو يقول: أعتذر لأنني يجب أن أنام مُبكرًا؛ فقد أجهدتني رحلة اليوم.

ثم قال لـ «ماندا»: أرجو أن تكون عندي في الساعة السابعة.

ثم انصرف ... وخلفه انصرف «أحمد» و«ماندا» و«برافو» الذي ودعهما عند الباب، وخرج قبلهما ... أخذا طريقهما إلى السيارة ... كان «أحمد» مُستغرقًا في التفكير، فسأله «ماندا» عندما انطلق بالسيارة: ماذا هناك؟

رد «أحمد» بعد لحظةٍ: لا أدري غير أني أشعر أن شيئًا ما سوف يحدث بعد قليلٍ!

ابتسم «ماندا» وهو يقول: تقصد «برافو»؟

رد «أحمد»: نعم وربما «جون» أيضًا.

ظهرت الدهشة على وجه «ماندا» وهو يقول: جون؟ ... كيف؟

رد «أحمد» بعد قليل: لا أدري غير أن إحساسًا يقول لي ذلك.

نظر «ماندا» في مرآة السيارة، ثم قال: الأصدقاء خلفنا.

قال «أحمد»: إلى الفندق إذن.

فجأة كان جهاز الاستقبال مع «أحمد» يُسجل رسالةً ولم يكن «ماندا» يعرف ... وضع «أحمد» يده على الجهاز في جيبه ... ثم أخذ يتلقى الرسالة التي كانت تقول: يبدو أن سيارةً ما تتبعنا ... ظهرت الدهشة على وجه «أحمد»، حتى إن «ماندا» سأله: ماذا حدث؟

بعد قليلٍ قال: انطلق بسرعةٍ ... يبدو أننا سوف نتعرض لحادثٍ ما!

في نفس الوقت أرسل رسالةً إلى آخر سيارةٍ، حيث «رشيد» و«باسم» قال فيها: إننا سوف نُغيِّر طريقنا حتى نتأكد ... ويجب أن نفترق الآن.

ثم همس لـ «ماندا» غيِّرِ اتجاهنا، ولا داعي للذهاب إلى الفندق الآن.

وبسرعةٍ أرسل رسالةً إلى السيارة الثانية التي تضمُّ «عثمان» و«خالد» يقول فيها: اذهبا إلى الفندق مباشرةً وانتظرا ... سوف نمضي بعض الوقت بعيدًا عنكما.

لقد تأكد «أحمد» الآن أن ما فكر فيه كان صحيحًا بالنسبة لـ «برافو» حتى الآن ... أما «جون» فإنه لم يتأكَّد منه بعد.

معركة في بطن الجبل

كان «ماندا» يَنطلِق بالسيارة في شوارع جانبيةٍ جعلت «أحمد» ينظر إليه دهشةً؛ فقد كان «ماندا» يعرف مدينة «دار السلام» جيدًا ... فهو من أبنائها ... بجوار أنه كان ماهرًا في القيادة ... نظر إلى «أحمد» ثم قال: هل نَخرُج خارج المدينة؟

قال «أحمد» بعد لحظةٍ: لا بأس فأنا في حاجةٍ إلى التفكير!

ثم قال بعد لحظةٍ وهو يَبتسِم: لا ينبغي أن تذهب بنا إلى الغابات.

ابتسم «ماندا» وهو يرد: لا بأس وإن كنا لن نصلَ إلى هناك.

انطلق «ماندا» بالسيارة إلى خارج المدينة في نفس طريق المطار ... ثم أبطأ من سرعتها ... ولم يَشغلْ «أحمد» بكلمةٍ ... فقد كان «أحمد» مُستغرقًا فعلًا في التفكير ... مدَّ «ماندا» يده، وضغط زرًّا في تابلوه السيارة ... فانسابَت موسيقى هادئةٌ جعلَت «أحمد» ينظر إليه مُبتسمًا ... فجأةً استقبل جهاز الاستقبال رسالةً من «عثمان» يقول إنه و«خالد» موجودان في الفندق الآن ... لكن «رشيد» و«باسم» لم يعودا بعد.

بعد لحظةٍ أرسل «أحمد» الرد قائلًا: لا بأس ... انتظرا! ...

مرَّت دقائق ... ثم سجَّل الجهاز رسالةً أخرى كانت من «رشيد» يقول فيها: إنَّ «باسم» و«رشيد» قد استطاعا الإفلات من السيارة التي تُطاردهما ... وإنهما يقفان الآن في النقطة «ع»، أخرج «أحمد» خريطةً، وأجرى فوقها بعض الحسابات ... فعرف مكانهما ... ثم ردَّ: يَنبغي أن تعودا إلى الفندق في حذرٍ، وسوف أكون خلفكما تمامًا.

ثم نظر إلى «ماندا» وقال: سوف نتبع هذا الطريق في العودة.

مدَّ يده، وأدار البوصلة المثبتة في تابلوه السيارة، فحدَّدت لـ «ماندا» طريق العودة، في نفس الوقت كان «أحمد» يُراقب الطريق جديًّا؛ فقد تظهر السيارة الغريبة فجأةً ... لكن شيئًا لم يحدث حتى وصلا إلى الفندق ... وعندما اتَّجها إلى غرفة «أحمد» كان بقية

الشياطين قد وصلوا وفي الحال عقد الشياطين اجتماعًا سريعًا ... وقال «أحمد»: ينبغي أن نكون في مدينة «موانزا» غدًا.

ابتسم «عثمان» وهو يقول: مدينة الذهب.

قال «أحمد» إنَّ الواضح أمامنا الآن أن «برافو» أحد رجال العصابة، وإلا ما حدثت هذه المطاردة ...

رد «رشيد»: وربما يكون «جون ماكدونالد» واحدًا منهم أيضًا.

قال «أحمد»: أعتقدُ ذلك.

صمت لحظةً ثم قال: إننا سوف نُضيِّع وقتَنا هنا في «دار السلام» ... إننا سوف نترك «ماندا» وهو كفيلٌ بأن يُخبرنا بأيِّ جديدٍ في الوقت الذي نكون فيه قد دخلنا المعركة فعلًا!

استمرَّت المناقشات حتى وقتٍ متأخرٍ، ثم قال «أحمد»: إذن لقد اتفقْنا، سوف ننتظر رسالةً من «ماندا» بعد لقائه مع «جون» وبعدها سوف ننطلق إلى «موانزا».

وقف «ماندا» وهو يقول: أتمنَّى لكم نومًا هادئًا ...

ثم انصرَف مباشرةً في الوقت نفسه ... كان الشياطين يأخُذُون طريقهم إلى غرفهم ... بقي «أحمد» وحده، كان مُستغرقًا في التفكير ... لكنه فجأةً قال لنفسه يجب أن أنام الآن فغدًا سيكون يومًا شاقًا.

وبسرعةٍ قفز إلى سريره ولم تمض دقيقتان حتى كان قد استغرق في النوم، لكنه في الصباح الباكر كان يَقفز من سريره ... نظر في ساعة يده ثم قال لنفسه: يجب أن يستيقظ «ماندا» الآن هو الآخر حتى يكون عند «جون» في الساعة السابعة.

ضغط زرًّا في جهاز الاستقبال ... فأضاءت لمبةٌ فيه ... ابتسم وهو يقول لنفسه: إن «ماندا» لم يغادرْ منزله بعدُ، ومن الواضح أنه يلبس الخاتم ... رفع سماعة التليفون ليُوقظ الشياطين، لكن صوت «رشيد» جاءه بتحية الصباح، ابتسم مرة أخرى وقال لنفسه: إن الشياطين جاهزون دائمًا ... وبسرعةٍ كان يُجهِّز حقيبته السِّحرية، ثم أخذ طريقه إلى الخارج، كانت الساعة قد اقتربتْ من السابعة ... وعندما وصل إلى المطعم ... وجد الشياطين هناك ... ألقى عليهم تحية الصباح ثم جلس، بدأ يأكُل طعام الإفطار الذي أحضره له الشياطين ... دقت الساعة السابعة ... فهمس «عثمان».

– إن «ماندا» عند «جون» الآن.

أخرج «أحمد» جهاز الاستقبال، وضغط زرًّا فيه، ثم علت الدهشة وجهه وهو يقول: إن «ماندا» لم يَصِل إلى «جون»!

سأل «عثمان» بسرعةٍ: لماذا؟

قال «أحمد»: إن «ماندا» في الطريق مع أن موعدَه مع «جون» الآن ... هذا يعني أن شيئًا ما قد حدث!

غادر الشياطين الفندق مُسرعين ... واتجهوا مباشرةً إلى مكان انتظار السيارات، ركب «أحمد» و«خالد» و«عثمان» في سيارةٍ، وركب «رشيد» و«باسم» السيارة الأخرى.

قال «عثمان»: كان يجب أن نتحرَّك بسيارةٍ واحدةٍ.

أجاب «أحمد» مسرعًا: لا تضع البيض كله في سلةٍ واحدةٍ.

انطلقت السيارتان تبعًا لمؤشِّر جهاز الاستقبال الذي يَتلقى الإشارات ... كان السهم فيه يتحرَّك في اتجاهٍ معينٍ، فاتجه «خالد» معه، فجأةً ظهر حشدٌ كبيرٌ من الناس يكاد يسد الطريق ... فكَّر «أحمد» بسرعةٍ هذه حادثةٌ مدبرةٌ بالتأكيد!

تقدَّمت السيارتان حتى توقفتا عند الزحام ... نزل «أحمد» بسرعةٍ، وعندما وقفتْ عيناه على «ماندا» تجمَّد وجهه ... كانت حادثة مروعة، فكر «أحمد» هل يتدخَّل الآن ... إن ذلك يمكن أن يكشف كل شيءٍ نظر إلى «عثمان» وقال: تحدث إلى عميل رقم «صفر» بسرعةٍ.

انسحب «عثمان» مسرعًا إلى السيارة ... في الوقت الذي كانت سيارة الإسعاف تنقل «ماندا» وقال أحد رجال الشرطة: إنَّ أحدًا لم يَستطِع التقاط رقم السيارة التي تسببت في الحادث!

تأكَّد «أحمد» من أن الحادث مدبرٌ، وعرف في نفس اللحظة أن العصابة قد بدأت الحرب، عاد «عثمان» وهمس في أذن «أحمد» هناك رسالةٌ من عميل رقم «صفر»!

أسرع «أحمد» إلى السيارة حيث كانت الرسالة في انتظاره ... كانت الرسالة تقول: طائرةٌ في انتظاركم في المطار ... التحرُّك فورًا إلى «موانزا» كل شيءٍ جاهزٌ هناك.

قرأ «أحمد» الرسالة ثم قال على الفور: ينبغي أن نصل إلى المطار حالًا ... انطلقت السيارتان إلى مطار «دار السلام» ... وهناك كانت طائرةٌ صغيرةٌ في انتظارهم ... نظر إليها «رشيد» وقال: طائرةٌ رائعةٌ ... إنها من المُمكن أن تكون سيارةً فضائيةً ... قفز الشياطين في الطائرة فارتفعَت في الجو مباشرةً، كان الشياطين يرون الغابات الممتدة ويرون كثيرًا من الحيوانات تمرح فيها ... كان منظرًا فريدًا ... غير أن «أحمد» كان مستغرقًا في التفكير، وكان «ماندا» محور تفكيره، انقضت ساعةٌ ثم أخذت الطائرة طريق الهبوط، وكان مكان هبوطها منطقةً نائيةً على أطراف مدينة «موانزا» ... وعندما توقفت تمامًا قفز الشياطين منها.

وقال قائد الطائرة: هذه شفرةٌ سريةٌ يُمكن استدعائي بها! ثم قدم لـ «أحمد» ورقةً صغيرةً، نظر إليها «أحمد» بسرعةٍ في الوقت الذي أخذتْ فيه الطائرة طريقها مُغادرةً المكان ... كانت هناك سيارةٌ في انتظار الشياطين، قفزوا إليها فتحرَّك السائق مباشرةً دون أن يَنطق كلمةً، ولم يمضِ نصف ساعةٍ حتى كانت مدينة «موانزا» قد ظهرت، فقال السائق: إنها مدينةٌ صغيرةٌ يسكنها العمال، والمهندسون وبعض الموظَّفين الذين يعملون في المناجم ... وعندما دخل المدينة اتجه مباشرةً إلى منزلٍ صغيرٍ وقال: هذا هو المكان الذي ستَنزلون فيه.

نزل الشياطين بسرعةٍ واتجهوا إلى المنزل الذي كانت تقف أمامه سيارة جيب ... دخلوا، فوجدوا منزلًا بسيطًا أنيقًا ... في جانبٍ من الصالة وجدوا ملابس عماليةً متسخةً ... فقال «أحمد»: أظنُّ أنها لنا.

فجأةً سجَّل جهاز الاستقبال رسالةً تلقاها «أحمد» وعرف أنها من عميل رقم «صفر» يشرح له كل شيءٍ ... ويحدد له مواعيد عمل العمال منذ البداية وحتى ساعة الانصراف، وبسرعةٍ كان الشياطين يلبسون ملابس العمال المتَّسخة، نظر «أحمد» في ساعة يده ثم قال: سوف يعود العمال إلى عملهم الآن ... يجب أن نسرع حتى نكون بينهم.

وقف «أحمد» أمام مرآةٍ ثم أخذ يضع بعض الماكياج بما يعطي لشكله صفة العمال ... وكذلك فعل بقية الشياطين، فجأة دوَّت في الفضاء صفارةٌ متقطعةٌ، فقال «خالد» إنها صفارة العودة!

أسرع الشياطين وخرجوا من المنزل، كانت هناك سياراتٌ تنقل العمال ... فوجدوا مجموعةً منهم تقف في جانب الطريق ... وبسرعةٍ انضمُّوا إليهم، وعندما اقتربت إحدى السيارات قفزوا مع العمال داخلها، وبعد ربع ساعةٍ كانوا يُغادرون السيارة بين العمال إلى داخل المنجم ...

عند الباب توقف «أحمد» لحظةً وكاد يَصرخ لكنه تمالك نفسه، لقد رأى «جون» ومعه «برافو» أعطى ظهره لهما حتى لا يرياه ... كان الاثنان يدخلان المنجم في هذه اللحظة ... أسرع يمشي خلفهما واستطاع ببساطةٍ أن يسمع ما يدور ... قال «برافو»: نعم يا سيد «ويلي» إن العمل يَمشي بشكلٍ مُنتظِمٍ ... فالذهب ينقل إلى «كلمنجارو» حسب التعليمات وهناك يتم كل شيءٍ.

قال «أحمد» في نفسه: ... إذنْ ليس اسمه «جون» ولكن «ويلي» لقد فكرتُ جيدًا!

قال «ويلي»: اسمع يا سيد «بول» أنت تَعرف أننا معرَّضون الآن لمخاطر كبيرةٍ ... فقد تسرَّب خبر اكتشافنا لمادة تحويل الذهب إلى رصاصٍ ولهذا يَنبغي أن نستولي على أكبر كميةٍ من الذهب ... وفي أقصر وقتٍ.

رد «بول»: سوف يتحقَّق هذا يا سيدي ...

كان المنجم مضاءً ... لكن الضوء لم يكن كافيًا ... في نفس الوقت الذي كانت فيه رائحة الفحم، والتراب عاليةً تمامًا، فجأةً التفتَ «ويلي» فوقعت عيناه على «أحمد»، حاول «أحمد» أن يسرع بعيدًا، إلا أن «ويلي» قال: أليس هذا صديقي الأفريقي؟ التفت «بول» وهو ينظر في اتجاه «أحمد» لا أظن ... لعله أحد العمال.

– نادى «ويلي»: أنت!

إلا أن «أحمد» استمر في طريقه ... في نفس الوقت كان بقية الشياطين يندسُّون بين العمال غير بعيدين عن «أحمد» فجأةً كانت يدٌ تُمسك كتف «أحمد» وسمع صوت «ويلي» يقول: أنت.

وقف «أحمد» وهو يقول نعم يا سيدي ... نظر له «ويلي» لحظةً ثم رفع يده، وأخذ يَمسح وجه «أحمد» ثم رفع غطاء رأسه وقال: أنت الأفريقي صديق الطائرة!

أبدى «أحمد» دهشةً وهو يقول: أي طائرةٍ يا سيدي؟!

رد «ويلي»: أنا «جون ماكدونالد» وأنت «ألبرت»!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: أُدعى «كالي» يا سيدي!

مد «ويلي» يده ونزع قميص «أحمد» فظهر صدرُه وهتف «يلي»: إنه أنت!

ثم نظر إلى «بول» وهو يقول: إنه هو، اقبضْ عليه.

ولم يكن أمام الشياطين إلا أن يدخلوا المعركة في لمحِ البصر بضربةٍ إلى «ويلي» في الوقت الذي التفَّ فيه الشياطين حول «بول».

قفز «رشيد» في الهواء وضرب «بول» ضربةً قويةً دفعته إلى الجدار، وفي لحظةٍ كان عددٌ من الحراس قد ملئوا المكان ... طار «عثمان» في الهواء وضرب اثنين ضربةً مزدوجةً، جعلتهما يصطدمان بآخرين ... وفي نفس الوقت كان «رشيد» قد أمسك بأحدهم ودار به فاصطدم في الحائط وتهاوى على الأرض ... كانت المسألة الغريبة أن العمال لم يشتركوا في المعركة ... فقد انصرفُوا إلى عملهم ... كانت معركةً سريعةً استطاع الشياطين فيها أن ينتصروا بسرعةٍ، وكان جو المكان يُعطيهم فرصة هزيمة أي عددٍ من الرجال ... لكن فجأةً أصبح مدخل المنجم مسدودًا تمامًا، فقد أقبلت مجموعةٌ مسلحةٌ من الرجال وتصرَّف

الشياطين بسرعةٍ، فقد قفزوا داخل المنجم، واندسوا بين العمال كانوا يُعطون أنفسهم فرصةً، فهم لا يستطيعون العودة الآن، لكنهم يمكن أن ينشغلوا في العمل مع العمال حتى لا يُفاجئوا بمن يصل إليهم ... ومن حُسنِ الحظ أن العمال كانوا قريبين منهم، فانهمك الشياطين معهم في العمل فمنهم من يمسكون بالأسلاك الممتدة ومن يعملون في الحفارات الصغيرة ومنهم من يخرجون الأتربة ... كان رجال العصابة قد وصلوا عند العمال، وبينهم كان يقف «ويلي» و«بول» وقد ظهر عليهما الإجهاد.

نظر «أحمد» إلى الشياطين وتحدَّث إليهم بلغة الشياطين ... وعندما وقف «بول» و«ويلي» وحراسهما صرخ «ويلي»: توقفوا ... توقَّفَ العمال عن العمل ... وكانت هذه هي فرصة الشياطين، كان كلٌّ منهم يحمل مقطفًا مملوءًا بالأتربة، وعندما صرخ «ويلي» كانت المقاطف الخمس قد ارتفعت في الهواء ودارت المقاطف وغطت المساحة كلها بالتراب ... كانت الحركة مفاجئةً حتى إن «ويلي» و«بول» والحراس ... لم يستطيعوا عمل شيءٍ في نفس الوقت كان الشياطين قد بدءوا عملهم؛ فقد دارت المقاطف فوق رءوس «ويلي» ومن معه مرةً أخرى، وكانت المفاجأة ... أن عددًا من العمال قد اشتركوا وساعَدُوا الشياطين في معركتهم ... وكانت بدايةً رائعةً.

معركةٌ في منجم الذهب

ألقى «أحمد» نظرةً سريعةً على المعركة، ثم أخفى ابتسامةً ... وقال في نفسه: من الغريب أن العمَّال قد تحركوا معنا وحدهم!

أسرع في ركنٍ من المكان وأخرج جهاز الإرسال وأرسل رسالةً شفريةً إلى قائد الطائرة يطلب منه حضور الطائرة فورًا ... قال في نفسه: ما دمنا قد سيطرنا على المنجم، فينبغي أن نُوقف العمل في «كلمنجارو» ثم عاد إلى المعركة التي كانت قد أوشكت أن تنتهي، اقترب أحد العمال منه وقال: اسمي «مانجا» إنني أشكر لك ما فعلت.

قال «أحمد» مبتسمًا: إن هذا منجمكم، وهذه ثروتُكم ويجب أن تحافظوا عليها.

نظر إلى الشياطين، ثم أعطى إشارةً، فانضمُّوا إليه ... قال لـ «مانجا»: إن وراءنا مهمةً أخرى ينبغي أن ننتهي منها وعليكم أن تُسيطِروا على المكان وسوف تصل الجهات الرسمية الوطنية حالًا.

ثم تحرك إلى الخارج وخلفه الشياطين، أمام المنجم كانت السيارات واقفة، قفز إلى واحدةٍ منها فتبعه الشياطين، انطلق بها إلى حيث هبطت الطائرة خارج المدينة ... في الطريق قال مبتسمًا: لقد تحرَّك العمال من أنفسهم في الوقت المناسب.

ابتسم «خالد» وقال: لقد كانوا ينتظرون من يدفعهم إلى الثورة ضد من يسرقون ثرواتهم.

رد «أحمد»: لكنهم دفعوا أنفسهم كما رأينا.

قال «خالد» مرةً أخرى: لقد تحدَّثتُ لـ «مانجا» وشرحتُ له ما حدث ... فقد كنت أتوقع هجومًا كبيرًا، قد لا نستطيع الوقوف أمامه!

علتِ الدهشة على وجه «أحمد» وهو يقول: كيف استطعت أن تعرف زعيم العمال بهذه السرعة؟

رد «خالد» في لحظةٍ سريعةٍ: عرفته، لقد كان متذمِّرًا وقت أن اندسسنا بينهم وكانت فرصتي.

ابتسم «أحمد» وقال: لقد استطعتَ إنجاز المهمة جيدًا.

كانت السيارة قد خرجت من المدينة إلى الخلاء ومن بعيدٍ ظهرت الطائرة في منطقةٍ خاليةٍ ... اتجه «أحمد» إليها، كان قائدها يقف في انتظارهم ... قال عندما رآهم: لعلكم أنجزتم المهمة!

ابتسم «أحمد» وقال: الرجال هم الذين أنجزوها.

نظر له القائد في تساؤلٍ وقال: أي رجالٍ تقصد؟

رد «أحمد»: رجال المنجم أصحاب الحق!

كان قائد الطائرة قد بدأ يتحرَّك بها وسأل: إلى أين؟

ابتسم «أحمد» وهو يضع أمامه خريطةً صغيرةً ألقى عليها القائد نظرةً ثم همس في دهشةٍ: كيف توصلت إليها.

ابتسم «أحمد» مرةً أخرى ولم يردَّ ... وإن كان قد قال: إنها بلادنا في النهاية.

رد قائد الطائرة بابتسامةٍ ... بينما كانت الطائرة تأخذ طريقها في الفضاء إلى جبال «كلمنجارو» كان الشياطين يرقبون اللون الأخضر الممتد حتى النهاية ... وأشجار الغابات المرتفعة ... فجأةً قال «رشيد» ترى ماذا حدث لصديقنا «ماندا» الآن؟

رد «أحمد»: لا أظنُّ أنها عصابةٌ خطيرةٌ، ربما تكون الصدمة فقط أفقدتْه وعيه ... إن «ماندا» قائدٌ ماهرٌ.

مضى بعض الوقت وبدأت الطائرة تأخذ ارتفاعًا عموديًا ... قد اقتربوا من الجبال العالية ... قال قائد الطائرة وهو ينظر إلى الجبال: هناك طريقٌ أسفلتيٌّ ... يبدو واضحًا في الجبل.

ثم أشار بيده إلى الجبل، فاتجهت أعين الشياطين إلى حيث أشار ... كان هناك طريقٌ يبدو كثعبانٍ يلوي في بطنِ الجبل ... سأل «باسم» ... ألا يوجد منظارٌ مكبرٌ؟

مدَّ قائد الطائرة يدَه وقدم لباسم منظارًا أخذه بسرعةٍ ووضعه على عينيه، ثم صاح: هناك إحدى الناقلات في طريقها إلى الهبوط.

ثم قدم المنظار إلى «رشيد» الجالس بجواره، فأخذه وفعل نفس الشيء، وقال مُتسائلًا: هل تكون تابعةً للعصابة؟

أخذ «أحمد» المنظار ثم وضعه فوق عينيه وقال: يَنبغي أن نوقفها لنرى.

أعطى المنظار لـ «عثمان» ثم تحدَّث إلى قائد الطائرة الذي قال: يُمكن طبعًا أن تهبط قبلها بكثيرٍ.

رد «أحمد»: ينبغي أن نفعل ذلك!

قال «خالد»: إنَّ المعمل يُهمُّنا تمامًا وهو هدفنا في النهاية.

رد «أحمد»: إنَّ المعمل سوف يظلُّ مكانه ... لكن الناقلة لن تتوقَّف.

وبسرعة أخذ قائد الطائرة دورةً مضاءةً مبتعدًا عن الجبل، ثم دار دورةً أخرى كاملةً عائدًا إلى الجبل مرةً ثانيةً، أخذ يَقترب حتى أصبحت الناقلة واضحةً أمامهم.

قال «أحمد»: هل نستطيع الاقتراب منها، ثم النزول فوقها؟

رد قائد الطائرة مبتسمًا: كالأفلام الأجنبية!

ثم أضاف: أستطيع طبعًا أن أقف فوقها تمامًا، لولا خوفي أن تسقط خصوصًا وأن الطريق ليس متَّسعًا.

قال «أحمد»: نُريد أن نقفز فوقها!

ابتسم قائد الطائرة ثم قال: إذن استعدوا.

نظر «أحمد» إلى الشياطين الذين وقفوا جميعًا ... قال قائد الطائرة: هناك ذراعٌ في يمين الطائرة حركه جهة اليمين وسوف يكون تحت قدمك طاقةٌ يمكن أن تَفتحها لتنزل من بطن الطائرة فوق الناقِلة تمامًا.

أسرع «أحمد» بتنفيذ ما قاله القائد ... حرك الذراع فظهرت فتحةٌ مستديرةٌ تكفي لنزول انسانٍ ... كانت الطائرة تُحلق فوق الناقلة تمامًا في هذه اللحظة ... وكانت الناقلة تبدو قريبةً تمامًا الآن ... أسرع «أحمد» ووقف عند الفتحة المُستديرة ... ثم نظر إلى قائد الطائرة وهو يقول: هل أقفز الآن؟

رد القائد مبتسمًا: ليس هكذا ... هناك حزام أمانٍ ... أمسكه وانزل حتى تتحاشَى السقوط ... وعندما تُصبح فوق ظهر الناقلة، اتركه لينزل به من بعدك.

نفذ «أحمد» تعليمات قائد الطائرة ... أمسك حزام الأمان وأنزله من الفتحة ثم نزل عليه حتى أصبحت قدماه فوق الناقلة، ثم تركه، كانت الناقلة تَسير بسُرعةٍ فكاد «أحمد» أن يسقط على الأرض، إلا أنه استطاع أن يحفظ توازنه وبسُرعةٍ كان «رشيد» يهبط ثم تبعه «باسم» ثم «خالد» وبقي «عثمان» يُراقب الموقف فقد قال قائد الطائرة: ينبغي أن يَبقى أحدكم فربما حدَث شيءٌ!

ظل «عثمان» يُراقب حركة الشياطين فوق ظهر الناقلة ... كان «أحمد» يتقدَّم حتى وصل إلى مقدمة السيارة الضخمة ... نام فوقها ونزل برأسه حتى زجاجها الأمامي، رآه

قائد السيارة فظهرتْ على وجهِه علامات الفزع ... وفجأةً انطلقت السيارة في سرعةٍ هائلةٍ، قال «أحمد» في نفسه: إنه يُريد أن نسقط ... نظر بسرعةٍ إلى الشياطين وقال: تشبَّثوا جيدًا حتى لا يسقط أحدنا!

أخذت السيارة تتلوَّى في سيرها حتى يَفقد الشياطين توازنهم، ثم فجأةً فُتح بابها وظهر أحد الحراس، كان مسدَّسُه يبدو قريبًا من «رشيد» الذي كان منبطحًا بجوار «أحمد» فأسرع يمد يده وجذب المسدس منه ... في نفس اللحظة كان «أحمد» قد ضرب الحارس ضربةً قويةً جعلته يكاد أن يسقط، لولا أنه تشبث بالباب ... فجأةً زعقت فرامل السيارة، فاهتز الشياطين بعنفٍ وكادوا يسقطون لولا أنهم كانوا مُستعدين لهذه اللحظة، وعندما توقفت قفزوا جميعًا إلى الأرض إلا أن قائدها كان ذكيًا، فقد انطلق مرةً أخرى فجأةً، غير أن الشياطين كانوا جاهزين بهذه الخدعة ... فقفزوا في رشاقة إلى سقفها من جديدٍ ... استمرَّت المحاولات بين قائد السيارة والشياطين الذين لم يكونوا يعرفون من بداخلها أكثر من قائدها والحارس، فكر «أحمد» بسرعةٍ وقال في نفسه: إنها تجربةٌ وأرجو أن تحقق ما أفكر فيه ... بحث عن شيءٍ صلبٍ حوله فلم يجد، كشف غطاء السيارة ... فوقعت عيناه على عمودٍ من المعدن له لون الرصاص ... فكر: هل تكون هذه هي السبائك الذهبية؟ ... مدَّ يده وأمسك بأحد القوالب ... كان ثقيلًا تمامًا برغم حجمه المتوسط ... نظر إلى «رشيد» فرأى المسدَّس في يده همس ... أعطني المسدس ... أخذه منه ثم رفع يده في قوةٍ وبكعب المسدس نزل على زجاج السيارة ... فجأة اهتزت السيارة بعنفٍ ... ثم أخذت ترُوح وتجيء على الطريق وكادَت أن تصطدم بالجبل لولا أن السائق كان ماهرًا، ثم توقفت في النهاية، في نفس الوقت كان الشياطين يقفزون وقبل أن يصلوا إلى الأرض كان بابا السيارة قد فُتحا في عنفٍ، فاصطدم أحدهما بـ «رشيد» فأطاح به بعيدًا واصطدم الآخر بـ «باسم»، ففعل به نفس الشيء لكن «أحمد» و«خالد» كانا في الانتظار، فما إن نزل الرجال الخمسة حتى كان «أحمد» قد قفز في الهواء وضرَب اثنين منهما ضربةً قويةً جعلتهما يصطدمان ببعضهما، بينما كان «خالد» قد دار حول نفسه وضرب أقرب الرجال إليه ضربةً دائريةً جعلته يصطدم هو الآخر بزميله ...

في نفس الوقت كان «رشيد» قد استعاد نفسَه وقفز في الهواء، بينما كان الرجل الخامس يُصوِّب مسدَّسه في اتجاه «أحمد»، ضرب «رشيد» يدَ الرجل بقوةٍ ... في نفس اللحظة التي ضغط فيها على الزناد فطارَت الطلقة في الهواء وإن كان المسدس قد ظل في يد الرجل ... كان «باسم» قد انضم إليهم، فأسرع إلى الحارس وضربه ضربةً قويةً جعلته ينحني، فضربه ضربةً أخرى جعلته يسقط على الأرض.

كان «أحمد» و«رشيد» قد اشتبكا مع اثنين من الحراس، واشتبك «خالد» مع ثالثٍ، في نفس اللحظة قفز أحدهم إلى السيارة وانطلق بها ... إلا أن الطائرة كانت تقف فوقها تمامًا، فنزل «عثمان» بسرعةٍ وما إن ترك حزام الأمان حتى قفز بسرعةٍ إلى مقدمة السيارة، ثم نزل في رشاقةٍ إلى الباب، واختفى داخل كابينة السيارة.

كان «أحمد» يُراقب ما حدث، بعد أن انتهى من ضرب خصمه رأى السيارة تتأرجح، فعرف أن معركةً تدور داخلها بين السائق و«عثمان»، أشار إلى قائد الطائرة فهبط أكثر، كان حزام الأمان يتدلى من الفتحة الدائرية بعد نزول «عثمان»، قفز «أحمد» في الهواء وتعلق به ... فتحركت الطائرة حتى وصل إلى السيارة التي كانت قد توقفت ... قفز في رشاقةٍ ونزل على الأرض، ثم أسرع إليها.

فجأةً كان «عثمان» ينزل مُبتسمًا، وهو يقول: لقد انتهت المهمة.

نظر «أحمد» إلى قائد الطائرة الذي كان يُراقب ما يحدث، ثم أشار إليه إشاراتٍ فهمها ... تحركت الطائرة إلى حيث يقف بقية الشياطين ... وقف «أحمد» و«عثمان» يراقبان الطائرة وهي تتَّجه إلى الشياطين حتى وصلت إليهم وبدئوا يصعدون بواسطة حزام الأمان، حتى ركبوا جميعًا ... فتحرَّكت الطائرة مرةً أخرى عائدة إلى حيث يقف «أحمد» و«عثمان» وقال «أحمد»: لقد انتهينا من الجولة الأولى وبقيت الجولة الأخيرة.

وبسرعةٍ أخرج جهاز الإرسال وأرسل رسالةً شفريةً لرقم «صفر»، وبعد قليلٍ جاء رد الزعيم: أهنئكم ... استمرُّوا للانتهاء من المغامرة.

وبدأ الشياطين يرسمون خطتهم لتنفيذ تعليمات الزعيم ...

هنـــداوي